المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية
رت م د إ: EISSN: 8506-2716
رت م د: ISSN : 2716-7984
المجلد00/ العـدد: 00 (السنة2024)، ص ص 71- 85

الثورة الجزائرية تجربة رائدة للشعوب في التحرر من الاستعمار

The Algerian Revolution is a pioneering experience for people in liberation from colonialism"

أ.د/ محمد بن جبور، جامعة وهران1 أحمد بن بلة
أ.د بن عمر حمدادو، جامعة وهران1 أحمد بن بلة
bendjebourmed@gmail.com
sidahmedh1976@gmail.com

Doi: 10.53283/2157-007-001-004

تاريخ الاستلام: 2024/11/06 تاريخ القبول: 2024/11/12 تاريخ النشر: 2024/12/31

ملخص: تقاس عظمة الثورات في العالم ببطولاتها وتضحيات رجالها، وثورة أول نوفمبر 1954 إحدى الثورات التي واجهت وركّعت أكبر قوة إمبريالية في القرن العشرين، بما فيها قوى حلف الشمال الأطلسي، وأثبتت للعالم أجمع أن ثورات المظلومين والمضطهدين ضد الغزاة الغاصبين أمر لا مفر منه، وجب على الأمة مهما كانت أن تحاربه، حتى تعيش في كنف الحرية والاستقلال.

إنّ ثورة أول نوفمبر 1954 تعد ثورة عظيمة بامتياز بفضل تضحيات شعبها، لقد كانت ثورتنا التحريرية الجزائرية تتويجا لمسار طويل من المقاومات الشعبية السياسية والمسلحة ضد ظلم وجور الاستعمار الفرنسي الغاشم. فكانت العظمة واضحت المعالم من خلال تسطير شعبها لطريقه المعبد بدماء الشهداء، وكتب تاريخا جديدا بتضحياته الجسيمة وفق أهدافه العظيمة، بأدوات بسيطة تعتمد أساسا على روحه الوطنية ووعيه السياسي والثوري.

كلمات مفتاحيّة: الثورة، الشعوب، التحرر، الاستعمار، نوفمبر 1954

Abstract: The greatness of revolutions in the world is measured by their heroism and the sacrifices of their men, and the revolution of November1, 1954 was one of the revolutions that confronted and brought to its knees the largest imperialist power in the twentieth century, including NATO powers, and proved to the entire world that revolutions of the oppressed and oppressed against the usurping invaders are inevitable. The nation must No matter what you have to fight, in order to live in freedom and independence.

The revolution of November1, 1954 is considered a great revolution par excellence thanks to the sacrifices of its people. Our Algerian liberation revolution was the culmination of a long path of popular political and armed resistance against the injustice and injustice of brutal French colonialism. Greatness was clearly defined by its people lining their path paved with the blood of martyrs, and writing a new history with their great sacrifices in accordance with their great goals, with simple tools that relied mainly on their national spirit and political and revolutionary awareness.
Keywords: Revolution, peoples, liberation, colonialism, November 1954, Algeria.

1. مقدمة:

لقد حارب شعبنا الأبي، قبل الثورة المجيدة نوفمبر 1954 سبعين عاما بالسلاح، ونصف قرن بالسياسة. إن ثورة أول نوفمبر 1954 هي التي دفعت هذه الشهبة وأزالت هذا التشكيك وأثبتت للخاص والعام، وللعدو والصديق، إن ثورة أول نوفمبر 1954 من هذه الناحية هي "البعث الجديد" للجزائر الجديدة والحديثة، بكل أبعادها ومفاهيمها، وقيمها الحضارية العريقة وأمجادها البطولية الخالدة.

لقد استوعبت ثورتنا المجيدة الدروس التي مضت، واستخلصت العبر من كل الثورات السابقة لها من الأمير عبد القادر، الحاج أحمد باي، وبومعزة، وبوزيان، وبوبغلة، وبحمارة، والحاج عمر، وفاطمة نسومر، إلى أولاد سيدي الشيخ، والمقراني، والحداد، وبوعمامة، والعمري، وغيرهم الذين حملوا لواء الكفاح المسلح في القرن التاسع عشر، بيد أنهم لم يعتمدوا على القاعدة الشعبية. بمفهومها الصحيح والسليم كجبهة وإنما كانوا زعماء لثورات محلية إقليمية قطعها الزمن والمكان ، تفتقر للإمكانات التي توصلها إلى أهدافها النبيلة المتمثلة في التخلص من الاستعمار واستعادة الاستقلال الوطني. وقد وعت الثورة جيدا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بها، إن الحرية تؤخذ وتنزع ولا تهدى. كما أنها درست التجارب السابقة لها، وهي حصيلة سبعين عاما من الكفاح المسلح العنيف وخمسين عاما من الكفاح السياسي المتواصل، وأصرت على ألا تدخل المعركة إلا ب" جبهة قوية موحدة ."[1].

وليس من السهل أبدا، توحيد شعب في جبهة واحدة، ببلد خضع لمستدمر عمّر طويلا مع وجود اتجاهات تباينت آراؤها حول المطالب الوطنية الواضحة للشعب الجزائري تباينا كبيرا، فالبعض إلى التجنيس والفرنسة والإدماج والذوبان في المجتمع الفرنسي الأوروبي المسيحي والبعض دعى إلى تحقيق إصلاحات اجتماعية لا تتعدى الشؤون الدينية، الاقتصادية الثقافية والاجتماعية، والبعض قبل نتيجة للتطور التاريخي ببروز شخصية جزائرية، ولكن في إطار المتروبول الفرنسي.

لقد كان التيار الاستقلالي واحد من أبرز التيارات التي تمثلت في : "نجم شمال إفريقيا " في بداية العشرينات من القرن الحالي. وتدرج في إطار "حزب الشعب الجزائري" قبيل الحرب العالمية الثانية وفي إطار "حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" وبعدها، ولكن هذا التيار تعرض للملاحقة. هذا التيار الذي تعرض لأزمة سياسية، بين الزعيم الهرم، والأكثرية من الشباب المناضلين، ما جعل الاستعمار يطمئن للوضع ويتفرج من بعيد[2].

لقد كان فضل ثورة أول نوفمبر 1954 في توحيد هذه الشتات" مكسبا وطنيا هائلا " وفي منتهى العظمة بل والقداسة، بحيث أذابت الجميع في "جبهة التحرير الوطني سياسيا" وجيش التحرير الوطني" عسكريا، الأغلبية عن إيمان واقتناع، وكان هذا مكسبا عظيما لم تحققه ثورة أخرى غيرها في العصر الحديث لا في إفريقيا ولا خارجها.

الصعاب الداخلية التي واجهتها الثورة :

حتى نعي عظمة ثورتنا المجيدة، داخل الوطن وخارجه، كيف أصبحت نموذجا للشعوب الإفريقية ودفعها لخوض عملية التحرر والانعتاق من الاستعمار الأوروبي، يجب التأكيد على أن الجزائر في نظر التشريعات الفرنسية كانت جزءا من التراب الفرنسي رغم الاختلاف والتباين في العرق والجنس واللغة والعقيدة والتاريخ والعادات والتقاليد، بل وحتى الجغرافية والمناخ والظروف الطبيعية الأخرى، وقد استماتت فرنسا في محاربة الثورة الجزائرية واستعملت كل الوسائل التي فاقت حتى إمكاناتها وطاقتها اللوجيستية والبشرية، فجندت ما يزيد عن مليونين من الجنود، وسلحت قرابة مليون معمر أوروبي مستوطن بالجزائر، واستعانت بالحلف الأطلسي وإمكاناته العسكرية والنفسية، وأقامت معسكرات الاحتشاد والتجمع التي ساقت إليها مئات الآلاف من أفراد الشعب كمحاولة لعزل الثورة عن الشعب، وأقامت مناطق محرمة في شرق الجزائر وغربها وعززتها بخطوط وأسلاك شائكة مكهربة، والطرق الملغمة والمراكز العسكرية المجهزة بالكتائب العسكرية الخفيفة والأسلحة الثقيلة.

كل هذا بغية عزل الجزائر تماما أرضا وشعبا عن العالم الخارجي ومنع وصول المؤن والنجدات العسكرية إلى الثوار والمجاهدين وجهزت آلافا من الطائرات لضرب مراكز الثوار التي زاد معدل قذفها الشهري على عشرة 15 ألف عملية كما جاء في جريدة (لومند) الفرنسية، وهو تقدير أقل من الواقع على ما يبدو، وعززت ذلك بفرق الجيش الفرنسي الخفيفة والسريعة الحركة والتنقل لملاحقة الثوار وشنت عمليات عسكرية كبرى، وشعبة بشعبة، جبلا بجبل، بغية اقتفاء أثر جنود جيش التحرير الوطني[3].

ومن بين العمليات العسكرية الكبرى التي نضر لها جنرالات فرنسا : المجهر وشال والضباب والصرصور، الأحجار الكريمة وغيرها، في جبال تلمسان، الونشريس، الأطلس البليدي، جرجرة، البيان، البابور، الحضنة، الأوراس وسوق أهراس وغيرها.

وقد تميزت هذه العمليات العسكرية بالضخامة في العدة والعدد، وطول المدة من شهر إلى ثلاثة أشهر، بل أن عملية المجهر في جبال البيان والقبائل الصغرى دامت أكثر من تسعة أشهر، وانتشر خلالها جنود الجيش الفرنسي مستعملين أدوات المجهر

ولقد نفذت معظم هذه العمليات العسكرية الضخمة في عهد الجنرال ديغول ولشدة هولها وقساوتها، وزيادة على هذه العمليات العسكرية الضخمة مارست القوات الفرنسية عمليات التعذيب الجهنمية بمختلف الوسائل والأساليب والأشكال كقلع الأظافر بالكلاليب، تسليط الكهرباء على أجزاء الجسم ، بقر بطون الحوامل، تعليق الأشخاص بصورة مقلوبة، غطس الرؤوس في الأحواض المياه الحارة أو العفنة أو الباردة، وضع حنفيات المياه في أفواه الأشخاص وفتحها حتى تمتلئ البطون ثم ترفس بالأرجل لخرج المياه على الدبر، إكراه الناس على شرب مياه الصابون، المشي على الزجاج والمسامير، سحب البعض عطشى مع وجود الماء إلى جانبهم، جرح الأجسام بأمواس الحلاقة، الضرب المرح والركل والرفس بمؤخرات البنادق، العصي، القطع الحديدية وإيداع البعض في بيوت مظلمة وباردة أياما وأسابيع على الإسمنت وما إلى ذلك من فنون التعذيب الجهنمية. واستمرت هذه العمليات خلال سنوات الثورة دونما نتيجة، ذلك أن الثورة لم تفشل ولم تعزل عن الناس والشعب لم يتردد في دعمها وإمدادها بالعدة المانعة و القوة الدافعة وهذا ما يؤكد ثورتنا المباركة والمظفرة والمنتصرة[4].

2- منجزات الثورة داخليا:

رغم الإمكانات التي سخرتها فرنسا ضد ثورتنا، لم تفدها في شيء، بل أن الكثير منها عاد عليها هي بالوابل والخسارة، حيث واصلت سيرها وتطوها بتدرج وتطور منطقي منتظم، فرعد لانطلاقها في صباح أوّل نوفمبر 1954، لم تمض عشرة شهور عليها حتى انطلقت انطلاقتها الثانية في هجومات 20 أوت 1955، التي قادها الشهيد البطل زيغوت يوسف في كل مدن وقرى الشمال القسنطيني، لتدحض الدعاية الفرنسية التي كانت تدعي وتزعم للعالم بأن متزعمي هذه الحوادث (فلاقة) وقطاع الطرق.

وبعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 م استكملت ثورتنا شخصيتها السياسية والعسكرية ووضع إطار لجيش التحرير الوطني مكنه من أن يصبح جيشا نظاميا في مستوى جيش العدو، بل وأقوى منه في العزيمة والخطط والأساليب، واستحدثت له ألقاب وأطر وتقسيمات عصرية وخطط للمواجهات العسكرية مع العدو، وبرزت جبهة التحرير الوطني بشخصيتها الوطنية والدولية، وأهدافها الواضحة ومطالبها العادلة التي اعترف بشرعيتها كل العالم المتحرر، وأصبحت لجنة التنسيق والتنفيذ والمجلس الوطني للثورة الجزائرية، يلعبان دورا بارزا وهاما في مقاومة ألاعيب الدبلوماسية الفرنسية في الخارج، حيث أصبح جيش التحرير الوطني يؤدي دورا بارزا كذلك في مقاومة أساليب جيش الاحتلال الفرنسي في الداخل، ومكر الإدارة الاستعمارية[5].

إن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958 يعتبر مرحلة مفصلية لكسب الاعتراف الدولي بالدولة الجزائرية الجديدة والعائدة بعد غياب قرن وربع القرن، ولإرغام الجنرال ديغول على الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الجزائري في تصريح 16 سبتمبر 1959 وذلك لأول مرة منذ 1830.

وكانت مظاهرات ديسمبر 1960عاملا لكشف كل أكاذيب وادعاءات ضباط الجيش الفرنسي التي تزعم بأن الثورة الجزائرية قد ماتت وقبرت، وأن الشعب الجزائري قد تخلى عن جبهة التحرير الوطني، وانضم إلى فرنسا وجيشها، وكانت صيحات المتظاهرين بشعارات: تحيا الجزائر وجبهة التحرير و(تسقط فرنسا والاستعمار) في عين تيموشنت، وهران، الشلف، البليدة، الجزائر العاصمة، قسنطينة وعنابة أخطر إنذار واجهه ديغول مند وصوله الحكم عام 1958، الذي أجبر على إلغاء زياراته والعودة إلى باريس، ليكشف زيف وكذب التقارير التي كان

يتلقاها من ضباط الشؤون الأهلية بالجزائر، ومن مستشاريه العديدين، فشرع في الحين في مخاطبة جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، وتفاوض معها على أساس وقاعدة الاعتراف بالاستقلال الوطني الكامل للجزائر[6].

لقد ساهمت الثورة الجزائرية في إسقاط سبعة حكومات فرنسية كحكومة: ماندیس فرانس، موللي الأولى: بورجيس مونوري، إدقار فور، فيليكس قايار، وفي موللي الثانية: فليلمان، وقوضت أركان الجمهورية الفرنسية الرابعة. وزرعت الفشل والتفسخ والاضطراب في الجيش الفرنسي وألحقت به هزائم تاريخية رغم دعم الحلف الأطلسي العسكري ، وجعله يواجه أزمة داخلية وتمرد المعمرين الغلات، مثلما وقع في ماي 1958 وأبريل 1960 م وجانفي 1961[7].

لقد تمكنت ثورتنا المجيدة بفضل دبلوماسيتها أن تعزل فرنسا دوليا من الناحية السياسية طوال سنوات الثورة السبعة، وأن تضرب الاقتصاد الفرنسي بما تكلف فرنسا من نفقات طائلة على جيشها وقواتها العسكرية وأجهزتها الاستعمارية، وانقسم الرأي العام الفرنسي على نفسه بين مؤيد للحرب الاستعمارية ضد الشعب الجزائري ورافض لها.

وعليه فقد ساهمت ثورتنا المجيدة في تراجع الاقتصاد الفرنسي وعزل المستعمر دوليا، فاضطرت في النهاية فرنسا أن تعترف بالواقع المر، بعد أن تأكدت بأن ما يجري في الجزائر ليس تمردا أو عصيانا خارجا عن القانون وإنما هو ثورة وطنية حقيقية وراءها قيادة كفؤة مدَعمة بكل فئات الشعب تخطط بإحكام لكل أعمالها السياسية والعسكرية التي تهدف إلى تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي وتحقيق الاستقلال الوطني للشعب.

وبالتالي اضطرت فرنسا في نهاية المطاف أن تلجأ لطاولة المفاوضات في مولان، إفيان ولوقران، لتجلس مع الذين زعمت في البداية أنهم (فلاقة) ولصوص خارجون عن القانون، واعترفت بهم ممثلين شرعيين وحيدين للشعب الجزائري وثورته، وتفاوضت معهم على قاعدة الاستقلال التام للجزائر.

ولم يستطع المستعمر عرقلة المفاوضات وإثارة العقبات في طريق الاستقلال، فقد فشل في فصل الصحراء عن الجزائر، وكانت دبلوماسية جبهة التحرير الوطني أقوى وأبلغ منها في الإقناع والتوضيح.

ثورة أوّل نوفمبر هي آخر حلقة في هزائم الجيش الفرنسي:

فكانت ثورتنا المجيدة آخر حلقة في هزائم الجيش الفرنسي والتاريخ هو الذي أنصفها وقدر دورها مع تقادم الزمن، وتبعد الحوادث والمنصفون من الساسة الأفارقة اعترفوا بهذا الدور وما تزال الاعترافات تتوالى، لأن ثورة أوّل نوفمبر هي التي حطمت فعلا وحقيقة الإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحر.

لقد دلت مصادر التاريخ أن فرنسا الاستعمارية عندما خرجت من الهند الصينية منهزمة لم تمر سوى أشهر قليلة لتنفجر الثورة التحريرية وتصبح أخطر قضية تواجهها في عقد الخمسينات من القرن العشرين، وكانت هذه الثورة بالنسبة لها رهانا لكسب الانتصار ضدها وانتزاعه مهما كان الثمن الذي ستدفعه فرنسا حتى تعوض كل هزائمها السابقة عبر قرن ونصف قرن من الزمن[8].

حيث اضطرت إلى التخلي عن كل المستعمرات الفرنسية ، وهنا يكمن دور الثورة الجزائرية في تحرير القارة الإفريقية وشعوبها من الاستعمار الأوروبي بكافة أشكاله وأنواعه، وإيقاظ الشعوب الإفريقية ، وتحفيزهم على محاربة الاستعمار.

وبعد الهزائم التي مني بها الجيش الفرنسي التي توالت عليه تباعا وظن قادته أن التمرد والتحدي ضد السلطة المدنية سينقذه من الفشل، ويسمح له بتحقيق النصر ضد الثورة الجزائرية، فتمرد ضباطه وجنرالاته بالجزائر صباح يوم 13 ماي 1958، وجاءوا الجنرال ديغول إلى الحكم لينقذ ما دعوه وسموه بـ "الجزائر الفرنسية."[9].

لقد تميز الجنرال ديغول بنظرته البعيدة لمصالح فرنسا الداخلية والخارجية فأكثر من التردد على الجزائر ليطلع بنفسه على الأمور عن كثب، ومن الوقع في إطار ما عرف بـ" رحلات الموائد العسكرية " التي كان يقيمها له ضباط الجيش، ورغم أنه تأكد من خطورة الثورة وصعوبة أدغالها، إلا أنه صمم هو الآخر على العناد والتحدي فأخذ يدعم جيشه بالعدة والعدد، ودعا ثوار جيش التحرير الوطني إلى الاستسلام ورفع العلم الأبيض، فيما دعاه "سلم الأبطال و الشجعان."[10].

وليؤكد تحدي الثورة الجزائرية، والتفرغ لمواجهتها، اهتم بمشاكل المستعمرات الفرنسية الأخرى في إفريقيا، التي كانت قبل اندلاع ثورة نوفمبر الجزائرية ترزخ تحت نير الاستعمار وبدأت تتساءل عما يجري في شمال قارتها فرأت أن تستغل الفرصة وتستفيد من الوضع الجديد مثل

الهبة التي أعلن عنها شعب غينيا عام 1958 م بداية لمسيرة شعوب القارة السمراء نحو التحرر وتحقيق الاستقلال الوطني، واضطر ديغول أن يعترف بذلك الواقع، فسلم بحق شعب غينيا في الاستقلال والانفصال عن فرنسا، ولكن حاول أن يقتله بقطع المساعدات الاقتصادية الفرنسية عنه بصفة كاملة. كان شريان الحياة لا ينبع إلا من باريس، غير أن الشعب الغيني لم يبال بهذا التهديد وواصل مسيرته وبقي حيا يرزق، وما يزال يتابع عمله وبناء وطنه بنجاح واضطرت فرنسا بعد أكثر من إحدى وعشرين عاما أن تعترف بهذا الواقع الجديد وتمد يد المصالحة إلى الشعب الغيني وقيادته، وقد أقحم ديغول البلدان الإفريقية فيما سماه بالاتحاد الفرنسي حتى لا تفلت منه ويوقف إمكانات فرنسا لمحاربة الثورة الجزائرية وحدها، ولكن العكس هو الذي حصل فبعد تجربة غينيا الناجحة أخذت باقي الشعوب الإفريقية الأخرى تعلن صيحتها وتطالب بحقها في الاستقلال والحرية، وانتشر الغضب في سائر بلدان إفريقيا الوسطى والغربية، فلجأت فرنسا الاستعمارية إلى منح الاستقلال لعدة بلدان[11].

حيث صادق رئيس وزراء فرنسا ميشيل دوبري في يوم واحد عام 1960 م على استقلال اثني عشر بلدا إفريقيا في غرب إفريقيا ووسطها، بعد الاعتراف باستقلال موريتانيا الإسلامية في نفس العام، ومن ضمن هذه البلدان " مالي، السنيغال، فولتا العليا، ساحل العاج، الداهومي، إفريقيا الوسطى، تشاد، النيجر، الغابون، الكونغو، برازافيل والكاميرون هذا الاعتراف لم يكن إلا بفضل الثورة الجزائرية.

ولقد كان الاستعمار الفرنسي يعتقد أن الانسحاب من مستعمراته في إفريقيا يتيح له الفرصة والقوة لكي يتفرغ للثورة التحريرية فكانت الفائدة مزدوجة، حيث تحررت بلدان إفريقيا كلها من الاستعمار الفرنسي، البريطاني والبلجيكي، وتحررت الجزائر بعدها فكانت بلادنا قلعة الثوار كما وصفها الزعيم الغيني أميلكار ورائدة للشعوب المستضعفة في إفريقيا والعالم.

2- ثورة أول نوفمبر 1954 وقيمها المجيدة: تجربة رائدة للشعوب العربية و الإفريقية:

إن ثورتنا المجيدة تعتبر مفخرة للعرب وتجربة رائدة للشعوب العربية والإفريقية والإسلامية بعد أن حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على هوية الشعوب ،فقد أعادت الثقة لهذه الشعوب، وزرعت فيهم روح الأمل والحيوية والحياة الحرة وحفزتها على نفض غبار التخلف

و التقوقع ، ودفعتها إلى العمل من أجل التحرر والتخلص من الاستعمار وتم ذلك لها فعلا دون ضحايا كثيرة، دون وقت طويل على نقيض بلادنا التي دفعت قوافل من الشهداء.

إن شعبنا الأبي لم يتنفس الصعداء، إلا بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 م التي خلصته من بطش الاستعمار، وهذه أول مرة في التاريخ يمسك فيها شعب الجزائر مصيره بأيديه بصورة حقيقة وينعم بالحرية والاستقلال الحقيقيين، كذلك ويشارك بجميع أطياف الأمة في إدارة شؤون وطنه وفي عمليات البناء والتشييد على إختلاف مجالاتها دون واسطة وهذه أول مرة في التاريخ كذلك تشارك فيها بلادنا بجميع فئاتها في ثورة تحريرية جماعية شاملة من اجل التخلص من المستدمر الغاشم، وهذا جانب من عظمة ثورة أول نوفمبر وانتصارها بحيث استعادت بالقوة الحرية التي ضاعت قبل ذلك بها[12].

لقد أكدت ثورتنا المجيدة على قيمة وحجم التضحيات الجسام وتلك البطولات التي صنعها رجال الجزائر الأشاوس خلال حربهم ضد الاستدمار الفرنسي الغاشم ،بغية استعادة سيادة الوطن المسلوبة ودفاعا عن المقاصد الإنسانية والتحررية والقيم النبيلة المبنية على أسس الحرية والعدالة ،وحقوق الإنسان، ولا يختلف اثنان في كون الثورة التحريرية المجيدة هي واحدة من أبرز وأعظم الثورات في تاريخ البشرية،

فقد استطاع شعبنا الأبي من خلال إرادته القوية وعزيمته المستميتة في دحر أعتى القوى الاستعمارية في العالم وأبشع استعمار عرفته الأمم على مر الزمن، محافظا على قيمه ومبادئه الراسخة، متسلحا بها في عملية البناء ،التي بدأها بعد انتزاع الحرية، و ضل متمسكا بها في وقت أصبحت فيه أغلب مجتمعات العالم تعاني اضطرابات داخلية والتي كان مصدرها التدخلات الخارجية .

ولقد دلت المصادر التاريخية سواء الجزائرية أو الفرنسية بأن عظمة ثورتنا المجيدة هي التي جعلتها تعتلي دورا رائدا بين ثورات العالم، ويرجع السبب في ذلك ،أنها ارتبطت بمبادئ وأسس حضارية ساهمت في تحديد خارطة طريق الحرية و الاستقلال وتصفية ظاهرة الاستعمار نهائيا، ومن بين تلك القيم التي سعت قيادة ثورتنا المجيدة على تجسيدها في مواثيقها وأدبياتها، التأكيد على حق الشعوب في تقرير مصيرها، ودعم القضايا المصيرية ،وإفشاء العدل والذود عن الحقوق الإنسانية، وشجب الظلم ،مؤكدة على التزامها وتمسكها بالقانون الدولي الداعي إلى التنديد بجرائم الاستعمار التي ارتكبها في مستعمراته، وهذا ما يؤكد على عراقة قيم الشعب الجزائري وقبول الآخر والتعايش معه في سلام بغية نشر المثل العليا لقيم التسامح والحوار ،

فكان هذا عاملا ساعد في تحقيق ثورتنا المجيدة لأهدافها، و توظيفها بعد الاستقلال ،لتضل مرجعية مرجعية لكثير من الشعوب المستضعفة والراضخة للاستعمار والمتعطشة للحرية والانعتاق ،وعليه فقد شكلت هذه المبادئ والقيم على مر الزمن سياسة لثابتة للدولة الجزائرية، بتبنيها، وتأييدها للقضايا العادلة ودعوتها بتصفية الاستعمار ونشر السلم والأمن، وترسيخ فكرة الوحدة بين شعوب العالم.

فكانت بذلك ثورتنا المجيدة بمثابة تجربة رائدة بالنسبة للشعب الفلسطيني، والصحراوي، لإنهاء الوجود الاستعماري الاستيطاني الغاشم ولا يزال شعبنا الأبي إلى اليوم يؤكد علي ابراز تمسكه القوي بالقيم الانسانية، ومبادئ حقوق الانسان التي اكدها بيان اول نوفمبر ،فيما يرتبط بدعم القضايا العادلة في العالم، والذود عن الحقوق والحريات وقيم العدل والمساواة، ومحاربة الظلم طبقا لما نصت عليه المواثيق والاعراف الدولية. هذه القيم التي تحمل في طياتها روح التسامح والتضامن والحوار.

إن ثورتنا المجيدة لم تقتصر بمبادئها الإنسانية السامية على تحقيق الاستقلال فقط بل شكلت مثلها العليا وقيمها الحاملة للمحبة التسامح والتضامن والحوار عاملا على بناء الفرد الجزائري كما أصبحت هذه المبادئ مصدر كل المشاريع الوطنية بعد استرجاع السيادة الوطنية.

إن ما تميز به الفرد الجزائري خلال تلك الفترة هو التفافه حول ثورته، فكان لها السند القوي في تحقيق الحرية و الاستقلال وان بيان أول نوفمبر 1954 الذي يعتبر أول خطاب إعلامي موجه للشعب الجزائري، قد ترجم المعاني السامية للإنسانية قبل اندلاع الثورة، مؤكدا غلى حجم الثقافة والوعي الكبيرين للقيم الحضارية والمبادئ الإنسانية لمحرري محاور هذا البيان، ومن حكمة البيان انه كرس وحدة الشعب الجزائري وإعطاء الفرص للانضمام للثورة للعناصر الوطنية وكل فئات الشعب الجزائري من أجل تحقيق اغنية واحدة وهي الاستقلال وبناء الدولة الوطنية.

لقد دلت الكتابات التاريخية أن القيم الإنسانية السامية التي ارتكزت عليها ثورتنا المجيدة قد ساعدت بشكل كبير ومتميز في تعاطف وانخراط العديد من الشخصيات والنخب الأوربية والفرنسية، مثل المناضل موريس أودان الذي اغتالته قوات الجنرال ماسو في 11

جوان 1957 إضافة إلى هنري مايو الذي قتل سنة 1957 والمناضل فرنان إيفتون الذي حكمت عليه الإدارة الاستعمارية بالإعدام، كما ساهمت هذه القيم وقبول الآخر إلى ظهور شبكات دعم ثورتنا كشبكة الفيلسوف الفرنسي فرانسيس جونسون، أو حملة حقائب الثورة التحريرية التي كانت تقدم المساعدات لمناضلي جبهة التحرير الوطني وتنظمهم داخل نقابات اليسار لدرجة أن أصبح أعضاء هذه الشبكة متابعين من العدالة الفرنسية وصدرت بعد ذلك أحكام ضدهم في 5 سبتمبر 1960،تمثلت أساسا في تهمة الخيانة العظمى، وهي المحاكمة التي أخرجت ثورتنا المجيدة من إطارها الإقليمي لتدرج في جدول أعمال الجمعية العامة الأمم المتحدة، وهذا سر تفوقها على القوات الاستعمارية المدعومة بالحلف الأطلسي نظرا لتمسكها بمبادئ وأهداف ودلالات حضارية إنسانية أكدت عليها أهم المواثيق والإعلانات العالمية الداعية إلى محاربة الاستعباد وترسيخ قيم المساواة و قبول الآخر.

لقد أكدت الحكومة الجزائرية المؤقتة احترامها للقانون الدولي حيث حرصت على تطبيق قواعد القانون الدولي، وهذا ما لم تقم به الحكومة الفرنسية. إن ثورنا المجيدة قد كسبت تأييد شرعيتها بقانون تصفية الاستعمار، حيث تمكنت من أن تجد مبرراتها النظرية في هذا القانون. حيث صاغت قانونها تلبية لحاجات الكفاح، ومكونة لمؤسسات عسكرية وإدارية وحكومية ومفاهيم حقوقية ضمنت لها تحقيق أهدافها هذه الثورة التي ضمت كل التيارات والصبغات الفكرية بغية القضاء على الظاهرة الاستعمارية.

لقد ارتكزت ثورتنا المجيدة على مجموعة من الأسس كالتفاؤل ووضوح الفكرة ذات أهداف عملية ولذلك كانت أهدافها مطبقة وعنفها الثورة مشروعا كرد فعل مباشر على عنف وغطرسة الاستعمار كما كانت ثورتنا شاملة على نقيض التجارب السابقة التي قطعها الزمان والمكان، فكانت ثورة الفاتح من نوفمبر ثورة شاملة وعمت الوطن، ولم تقتصر على فئة معينة، و كانت لها قيادة جماعية ،لتلافي أخطاء الماضي والصرعات الداخلية التي تعرضت لها الحركة الوطنية، مستغلة كل الأوراق العسكرية والسياسية الى الدبلوماسية ،لتكون بحق ثورة جامعة لكل المناحي والمجالات التي تسمح بتحقيق النصر معتمدة على مبدأ القيادة الجماعية ووحدتها، وتوحيد الأمة الجزائرية بمختلف اطيافها ومنظماتها الجماهرية من خلال الكفاح المسلح، متشبثة بالنزعة الانسانية والحضارية والأخلاقية والالتزام المطلق بكل قضايا التحرر في العالم ،والداعية إلى تصفية الاستعمار بمختلف أشكاله .

وعليه فقد استفادت ثورتنا المجيدة من دروس الماضي، وغذت بها مرجعتيها من أجل توحيد الشعب الجزائري بمختلف اطيافه ومنظماته الجماهرية إلى جانب كسب الدعم والتأييد من مختلف بلدان العالم والهيئات الدولية، لتضل عل مر الزمن التجربة الجزائرية في محاربة الاستعمار تجربة رائدة ومتميزة، وتضل بلادنا كما وصفها الزعيم الغيني املكار"قلعة الثوار".

لقد تسببت ثورتنا المجيدة في حدوث ارتباك و تعقيد الوضع الاقتصادي الفرنسي، كما ساهمت أخبار الجرائم التي ارتكبها الجيش الفرنسي إلى ظهور تيار شعبي في فرنسا عارض الحرب، وشجب الممارسات الوحشية المركبة ضد الشعب الجزائري، وتدهور الوضع السياسي في فرنسا ،كما تسبب الشرخ الذي داهم الحزب الاشتراكي الفرنسي إلى انعدام الاستقرار السياسي، مما أدى إلى الاستنجاد بالجنرال ديغول لرئاسة الجمهورية الفرنسية الخامسة حيث كان يرى تيار التمسك بفكرة الجزائر الفرنسية في الجنرال العائد رجل الساعة، الذي يمتلك القدرة على حل المسألة الجزائرية، حسب تطلعاتهم، فكان رد جبهة التحرير الوطني على اعتلاء الجنرال ديغول السلطة بالإعلان عن تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة برئاسة فرحات عباس، في القاهرة والإعلان عن رفضها لأي دعوة للمفاوضات لا يكون هدفها منح الجزائر الاستقلال التام وكان هذا رد قوي وشجاع على العرض الذي قدمه الجنرال ديغول بعقد "سلام الشجعان".

كما أن الجنرال ديغول اعتمد نهجاً براغماتياً في التعامل مع المسألة الجزائرية، حيث قام في عام 1959 بإعلانه لحق الجزائريين في تقرير مصيرهم ثم بدأت تتوالى تصريحات هذا الجنرال، خاصة المرتبطة بمفهوم تقرير المصير، واضطر بعد ذلك للاعتراف بالجمهورية الجزائرية، ثم يخطو خطوة هامة في عام 1960 عندما أكد على مفهوم الجزائر الجزائرية، ليصل في عام 1961 إلى تصريحه بأنه لا يمانع في قيام دولة جزائرية مستقلة. فكان يسعى إلى الوصول لحل، لتبدأ سلسلة من المفاوضات الماراثونية المتعثرة مع جبهة التحرير الوطني افضت إلى عقد اتفاق إيفيان الذي قاد إلى استقلال بلادنا، تتويجاً لتضحيات شعبنا الأبي على امتداد الحقبة الاستعمارية التي امتدت إلى مالة واثنان وثلاثين أسنة واليوم... ونحن نسترجع ذكرى هذا الإنجاز الكبير الذي مثل خطوة حاسمة على طريق تحقيق استقلال الجزائر نتوقف باحترام إحياءً

لذكرى أجيال متتابعة من أبناء الوطن الذين امتلكوا من الإرادة والتصميم ما يكفي لتحقيق الانتصار الكبير لشعبنا الأبي، الذي قدم مثالاً ونموذجاً لكفاح الشعوب من أجل الحرية والاستقلال.

لقد كانت ثورتنا المجيدة هي الحل الوحيد لعودة بلادنا إلى حضن أهلها، حيث كانت نضالًا للنهوض بالوطنِ الحبيب وإعادة المجد له كسابق عهده وتخليصه من همجية المستدمر الفرنسي وشره الذي بثه في أرض الخير، و الذي حاول نشره في ارضنا كما حاول الفرنسيون التشبث بماضيهم الإجرامي الذي أتوا به فاتخذوه عقيدةً لهم فغزوا الأرض به، ليعيشوا الهزيمة و لإخفاق والهزيمة التي مُنيوا بها في نهاية المطاف ،ليخرجوا برؤوس متطأطئة، بينما يستشهد أبناء الوطن ورؤوسهم شامخة مرفوعة فخرًا بالنصر الذي سيأتي، وفرحًا بتضحيتهم في سبيل الحرية والاستقلال.

فبالرغم من قلة السلاح والوسائل اللوجستية والاتصال؛ إلا أن العمليات العسكرية التي نفذها جيش التحرير الوطني ضد مواقع قوات الاستعمار والمعمرين كانت قد شملت كامل التراب الوطني، وكان لها الصدى القوي داخليا وخارجيا والدليل على ذلك ما تلاها من ردود أفعال بعد لجوء القوات الفرنسية إلى اعتقال مناضلي الحركة الوطنية في مختلف أرجاء الوطن ومن هنا لابد من تلقين الناشئة والاجيال الصاعدة تاريخ ثورنا المظفرة ووضعها في الصورة الحقيقية لهذه الحرب التي اذلت الاستعمار الفرنسي وعجز في فك شفرتها رغم دعم الحلف الاطلسي، ولابد من استحضار تفاصيل نضال أبناء شعبنا الأبي الأحياء والشهداء، والتذكير بجرائم الاستعمار الفرنسي التي ارتكبها في حق شعبنا الأبي، والتي لا يضاهيها جرم وضرورة تجريم فرنسا على ما قامت به بالجزائر خلال فترة الاستعمار، ولابد على جيل اليوم ان يستلهم بالعبر والدروس من ثورتنا المباركة التي وصفها كبار قادة الدول بمعجزة القرن واعتمادها كمرجعية في تصوراته المستقبلية في حركة البناء والتعمير والالتفاف في مشروع الوحدة الوطنية الذي لا بديلا عنه من أجل جزائر جديدة.

4. خاتمة:

إن ثورتنا المجيدة ستظل على مرّ الزمن من أهم الأحداث العالمية الكبرى في التاريخ المعاصر، التي تبدت انعكاساتها على أغلب شعوب المعمورة، وبخاصة في العالم الثالث فشكلت تجربة رائدة لها في الكفاح واسترجاع الحرية، ونصرة القضايا العادلة المعاصرة كالقضية الفلسطينية، والصحراء الغربية وستظل تجربة رائدة، في التمسك بالأهداف الوطنية النبيلة

ودعم القضايا العادلة ونصرتها ومساندتها في المحافل الاقليمية والدولية. ولعلّ عضوية الجزائر اليوم بمجلس الأمن بصفتها عضوا غير دائم، مكنها من الدفاع عن قضايا الشعوب التي تطمح للحرية والاستقلال وتقرير المصير ومحاولة تصفيات آخر معاقل الاستعمار بمختلف أشكاله بالعالم و بالقارة الإفريقية تحديدا.

إن الجزائر اليوم ترتكز أساسا في سياستها الخارجية والداخلية للدفاع عن تلك الشعوب المظلومة والمضطهدة على مبادئ ثورة أول نوفمبر 1954، كيف لا وهي الثورة التي لا زالت تدرس في أكبر الكليات الحربية العالمية، وتلقن استراتيجياتها وأهدافها ومبادئها للجنود المتكونين بتلك الكليات.

5. الهوامش:

1- بوعزيز، يحي، (1980)، ص:550.
2- المرجع نفسه، ص:551.
3- طوبال، لخضر، (2017)، ص ص: 271 - 286 .
4- المرجع نفسه، ص: 552.
5- محمد فؤاد، شكري،(1958)، ص:48.
6- بوعزيز، يحي (1979)، ص ص: 23 - 42 .
7- المرجع نفسه، ص ص: 23 - 42 .
8- بوعزيز، يحي (1988)، ص ص: 271 - 286 .
9- بوعزيز، يحي (1984)، ص ص: 213 - 242 .
10- المرجع نفسه، ص ص: 213 - 242 .
11- المرجع نفسه، ص ص: 213 - 242 .
12- الطويلي، محمد، (28-24 نوفمبر 1984)، ص: 4.

6. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

- بوعزيز، يحي، (1980)، ثورات الجزائر بين القرنين التاسع عشر والعشرون، قسنطينة دار البعث. ط 2 الجزائر 1996، 2 أجزاء.
- طوبال، لخضر، (2017)، الطريق إلى نوفمبر، كما يرويها المجاهدون، المقاومة الوطنية والحركات السياسية حتى ليلة نوفمبر 1954. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- محمد فؤاد، شكري،(1958)،الصراع بين البورجوازية والإقطاع، دار الفكر العربي، القاهرة- 1958.
- المقالات:
- بوعزيز، يحي (1979)، ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف ديغول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960، الأصالة، الجزائر، العدد 73 - 74 .
- بوعزيز، يحي (1988)، حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية مجلة البحوث التاريخية، طرابلس ليبيا، المجلد3،العدد 2، ص ص: 271 - 286 .
- بوعزيز، يحي (1984)، ما كتب عن ثورة أول نوفمبر - 1954، عرض وتصنيف وتقييم، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 83، ص ص: 213 - 242 .
- الجرائد والمجلات:
- المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني - 1957 - 1962.
- المقاومة الجزائري - 1955 - 1957.
- الأصالة - 1971 - 1981.
- الثقافة - 1971 - 1984.
- مجلة التاريخ - 1972 - 1983.
- المداخلات:

الطويلي، محمد، (28-24 نوفمبر 1984)، الثورة الجزائرية وصداها في العالم، الملتقى الدولي الجزائري، الجزائر.